

عقد العمل

- * العقد ضرورة *
- * غاية العمل *
- * حوافز العمل *
- * شروط العقد *
- * عقود أخرى *
- * حق الاضراب *

العقد ضرورة

لابد للحياة من ضوابط • هذه الضوابط هي التي تحدد علاقة الفرد مع نفسه ومع الناس وتضمن لهذه الحدود ألا تنتهك وألا يعتدى عليها وأن يحفظ لها احترامها وهيبتها •

والعقود هي ضوابط الحياة وسيان أن تكون هي العقود المكتوبة أو المتعارف عليها بين الناس والتي تحدد العلاقات بينهم وتنظم معاملاتهم كما في عقد الدين أو عهد الله على الناس أن يقيموا شعائره ويحلوا ما أحل لهم ويحرموا ما حرم عليهم •

والاسلام يقدر العهود والعقود ويأمر أتباعه باحترامها وتقديسها حتى مع غير المسلمين فيقول الله تعالى في أول سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود »^(١) ويقول : « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا »^(٢) • • كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « المسلمون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا » ويقول : « لا أمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » •

بل ان نظرة الاسلام الى العقود والعهود تمتد الى ما هو أسمى وأبعد من ذلك بكثير وتلفت الانسان الى معاني سامية عظيمة تليق بإنسانيته • ذلك لأن نظرة الاسلام الى الانسان نظرة تقدير وتكريم تلزمه بأن يتسامى بنفسه ويجتهد للارتفاع بها الى تلك المنزلة التي خصه بها خالقه وشرفه • • فقد قال تعالى : « واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم »^(٣) •

أى أن الله أجرى عهدا بينه وبين الانسان من بدء الخليقة وشرفه بأن أهله للتعاهد مع خالقه وأوجد له الذمة أى الأهلية لما له وما عليه • « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان »^(٤) •

(١) الاسراء : ٣٤

(٤) الأحزاب : ٧٢

(١) المائدة : ١

(٣) الاعراف : ١٧٢

وأيا ما كان رأى المفسرين فى معنى هذه الآية الكريمة فهى تثبت ولا شك أن هناك أمانة حملها المولى تعالى للانسان وأن الانسان ملزم أمام ربه بحمل الأمانة دون سائر خلقه .

ولقد حرص القرآن كما حرص الرسول عليه الصلاة والسلام فى الحض على الأمانة ورعايتها وحفظها وحفظ العهد والوفاء به فوجب على المسلم الحق أن يبنى معاملاته على هذا الأساس السامى من حفظ العهد والأمانة حتى يرتفع الى هذه المرتبة الشريفة التى خصه بها الله تعالى .

وهكذا وضع الاسلام كل تشريعاته مراعى أن العبرة دائما بالوجدان اليقظ والضمير الحى وقد ربط وجود الانسان على الأرض بخالقه فهو يرفع الانسان والانسان يرقبه ويسعى لاحكام الصلة بينه وبينه ومع ذلك فقد أتى بتشريع محكم الحلقات متين البنيان سبق فى كثير من مناحيه التشريع المدنى الحديث بقرون عديدة تزيد على العشرة (١) .

والعمل أمانة كلف بها الانسان لعمارة الكون واستخراج ما أودع الله له من رزق فى أرضه .

لذلك نظم الاسلام علاقة العمل تنظيمًا لم تسم اليه شريعة من قبله واذا كان عنوان هذا الباب « عقد العمل » فلأن كل علاقة بين شخصين أو أكثر من المفروض أنها تخضع لشروط تنظمها وينتظمها عقد .

ومن المعروف أيضا أن الفرد عند قيامه بانشاء عقد ما فإن أول ما يتبادر الى ذهنه ويعمل على توضيحه فى العقد بل ويكون من أول بنود العقد هو « الغاية » من هذا العقد .



(١) نظرية الاسلام الاقتصادية - للمؤلف ص ٩٥ ، ٩٦

غاية العمل

هدف النشاط البشرى فى سائر النظم الوضعية هو تحقيق أكبر قدر من الربح للوصول الى مجتمع الرفاهية كما تدعى الرأسمالية أو تحقيق الكفاية المادية للجميع كما تزعم النظم الاشتراكية •

وقد أدى استهداف المادة الى ما يعانى به العالم من صراعات مريرة بين النظم المادية المختلفة لا سيما وأنها جميعا تسعى الى التحكم والسيطرة •

لكن التصور الاسلامى للدنيا كمزرعة للآخرة يجعل المصلحة المادية ليست هدفا بل وسيلة لتحقيق الفلاح والسعادة الانسانية •• اذ يقول المولى عز وجل : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة** » (١) • ولذلك يتفرد التشريع الاسلامى بسياسة خاصة لا تركز أساسا على الفرد كالنظم الفردية ولا على المجتمع فحسب شأن المذاهب الجماعية وانما قوامها التوفيق والمواءمة والموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله : « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** » (٢) •

فبينما النظام الرأسمالى يطلق الحرية الكاملة للفرد فى ممارسة النشاط الاقتصادى مما يحفز الباعث الشخصى ويدفع النشاط الاقتصادى ويوسعه الا أن هذه الحرية أدت الى مساوئ أهمها : اتجاه النشاط الانسانى الى تحقيق أكبر قدر من الربح بغض النظر عن الحاجات العامة الأساسية وانتشار البطالة والأزمات الاقتصادية ولما كان الأفراد ليسوا على درجة واحدة من الكفاءة فقد ساعد ذلك على سيطرة الأقوياء واستئثار الأقلية بخيرات المجتمع وبالتالي الى سوء توزيع الثروة فالصراع بين الطبقات •

وأما النظام الاشتراكى فيجعل المجتمع هدفه فيقدم مصلحة المجموع على مصلحة الفرد وتتدخل الدولة فى الأنشطة الاقتصادية وتتملك معظم

(١) القصص : ٧٧

(٢) البقرة : ١٤٣

وسائل الانتاج بهدف اشباع الحاجات العامة وتلافي البطالة والأزمات الاقتصادية ورعاية مصلحة الأغلبية .

الا أن هذه السياسة أدت الى مساوئ أهمها : ضعف الحوافز الشخصية والمبادرات الفردية وبواعت الرقى الاقتصادي فضلا عن الضغوط والتعقيدات الادارية وتحكم البيروقراطية وضياع الحرية الشخصية التي هي جوهر الحياة الانسانية .

أما وسطية الاسلام فقوامها حفظ التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة : « لا تظلمون ولا تظلمون » (١) . كما جاء في القرآن الكريم وهو ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم في القاعدة الشرعية القويمة : « لا ضرر ولا ضرار » التي تصلح أساسا لكل سعى الانسان في الحياة .

وقد ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم المثل في التوفيق بين المصلحتين الخاصة والعامة في قوله : « ان قوما ركبوا سفينة فاستهموا فصار لكل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأسه فقتلوا له : ماذا تصنع ؟ قال : هذا مكاني أصنع فيه ما أشاء فان أخذوا على يده تجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا » (٢) .

ويحرص الاسلام على هذه الوسطية التي تجعل الحياة تمضي في تناسق وسلام مع النفس ومع الناس وتجمع بين الفكر والاعتقاد وبين الخلق والعمل ولا تفرق بين الأخلاق الشخصية والمعاملات الاجتماعية وترفض ازدواج الشخصية أو تناقضها فلا ترضى أن تكون للشخص حياة عقلية مؤمنة وحياة خلقية كافرة أو فاسقة أو تكون له حياة خاصة يفعل فيها ما يشاء من الفحشاء والمنكر وحياة عامة يزعم أنه يلتزم فيها حدود الفضائل والعدالة .

هذا التفريق لا يعترف به الاسلام الذي يهتف قرآنه بقول العليم الحكيم : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (٣) .

(١) البقرة : ٢٧٩

(٢) من بحث للكتور شوقي الفنجري بالعدد ٢٠٦ من مجلة العربي الكويتية .

(٣) الصف : ٢ ، ٣

« وهذا أمر معقول في دين كالاسلام يدعو الى اعتناق مذهب وحدة الحياة وامتدادها الى الأبد بعد الموت في الدار الآخرة ، وبالتالي يدعو الى وحدة العمل ويجعله كله من العبادة سواء أكان عملا للمعيشة هنا في الدنيا أم للعيش هناك في الآخرة ، فلا يقول هذا عمل دنيوى وذاك عمل أخروى ، بل يقول في كل أنواع العمل : هذا عمل صالح ينفع الناس ويمكث في الأرض لامداد الحياة بمدد الخير ، فهو اذن عبادة سواء أكان في ظاهره للدنيا أم للآخرة ، وهذا عمل فاسد يؤذى الحياة ولا يمدّها بخير ، فهو اذن كفر أو فسق ، سواء أكان ظاهره عملا دنيويا أم أخرويا •

ومن هنا قرر الاسلام أن كل الأعمال والذات الطيبة يجوز أن تتحول الى عبادة اذا قدمت أمامها النية الخالصة في حفظ هبة الحياة والانتفاع بها واحترام ارادة واهبها » (١) •

واذا كان الايمان هو روح العمل وسره فان العمل هو جسم الايمان وشكله والفصل بينهما لا ينتج الا صورة من الحياة ناقصة أو مشوهة أو جافة أو عقيما •

فالذى يؤمن ولا يعمل يعيش في فراغ وتجريد وعجز •• ولا حصيله واضحة لحياته ولا دلالة واضحة على ايمانه ، والذى يعمل بدون ايمان يعيش كالآلة بدون روح يلهمه ويؤنسه ويسدده ويدفعه ولا يحس ما وراء العمل من قيم خلقية وانما يحس ذلة السخرة وغموض السر في أعباء الحياة التى تمضى به بدون تفسير يعمر قلبه بالطمأنينة والسكينة والفهم •

ويقرر الاسلام أن حياة الايمان بدون عمل هي عقيم كحياة شجر بلا ثمر فهي حياة تثير المقت الكبير لدى واهب الحياة الذى يريد لها خصبة منتجة كثيرة الثمرات •

كما يقرر الاسلام أن العمل بدون ايمان جهد ضائع على صاحبه وهباء منثور كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف • يقول القرآن الكريم : « مثل الذين كفروا بربهم ، أعمالهم كرماد اشتدت به الريح

(١) المادية الاسلامية وأبعادها لعبد المنعم خلاف ص ١٦٣

في يوم عاصف ، لا يقدرّون مما كسبوا على شيء» (١) • ويقول :
«وقدّمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا» (٢) •

ويحدثنا الدكتور محمد عبد الله العربي رحمه الله في بحثه المقدم
للمؤتمر الاسلامي الثالث لجمع البحوث الاسلامية عن الغاية من العمل
في الاسلام فيقول :

«كل منتج لسلعة أو لخدمة — في النظام الرأسمالي — يحرص
على أن يقتضى من المجتمع الذى يشتريها منه أقصى ربح ويضع في
تدبيره عند تحديد ثمن السلعة أو الخدمة بلوغ هذا الهدف غير قانع
بربح معتول فوق تكاليف الانتاج • هذه هى العلة البارزة في كل صور
النشاط الاقتصادي في النظام الرأسمالي ، والتي تولدت منها المساوئ
التي رأيناها كالامعان في الاحتكار واستغلال المستهلكين بالغش والخداع
أو الاعلان الكاذب واستغلال العمال الأجراء بتخفيض أجورهم الى
الحد الأدنى والتآمر على شراء المواد الخام اللازمة للصناعة بأبخص
الأثمان •• والامعان في التصنيع الحربي لأن المصنوعات الحربية تؤتى
ربحا يربو على ربح المصنوعات السلمية أضعافا مضاعفة ، ثم التآمر
على خلق مجالات لاستعمال حكوماتهم لهذه المصنوعات حتى لا ينقطع
الطلب عليها •

وكذلك سياسة الانتاج لا يبتغى بها في الاقتصاد الرأسمالي سداد
أهم حاجات المجتمع بقدر ما يبتغى بها الحصول على أكبر ربح ، فهم
يسارعون من أجل ذلك في انتاج السلع وانجاز الخدمات التي تلبي
مطالب أقدر المستهلكين على دفع أعلى الأثمان • فاذا نظرنا الى ثمرة
هذا النشاط الاقتصادي وما فاء به على العامل ، كيف يكون تصرفه في
هذه الثمرة ؟ كيف يرسم العامل سياسة انفاق دخله ؟ لا نجد هنا أى
قيّد عليه من دين أو قانون الا ما تملّيه شهواته أو غروره بعكس ما
تقضى به تعاليم الاقتصاد الاسلامي •

والعمل في المنهج الاسلامي بمعناه العام ينصرف الى أهم جوانب
هذا المنهج ، أى أنه أهم نشاط للمسلم في هذه الحياة الدنيا •• لذلك

ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة وقرنه بالايمن ، فكلما ذكر الايمان ذكر معه العمل الصالح ، أى أن الاسلام يشترط دائما ترجمة ايمان المسلم الى عمل صالح وفي آيات أخرى يبيننا العليم الحكيم أنه سبحانه خلق الموت والحياة ليبلونا أينما أحسن عملا في هذه الحياة •

فكيف يكون عمل المسلم عند الله ؟

يكون عمله حسنا عند الله اذا ابتغى به رضاء الله ولن ينال أحد رضاء الله الا اذا التزم هدايته ، وهداية الله على لسان رسله الى البشر تتلخص في توجيه الانسان الى تحقيق فلاح الدارين • الدنيا والآخرة • اذن العمل في الاسلام في كل أوضاعه وألوانه له هدف واحد ، هدف مشترك لكلياته وجزئياته هو تحقيق فلاح المسلم في الدنيا والآخرة •

ونحن في هذا البحث نعالج جزءا محدودا من عمل المسلم ، نشاطا واحدا من بين أنشطته الكثيرة هو نشاطه الاقتصادي • ولما كان الهدف من عمل المسلم في مجموعه هو تحقيق فلاح الدنيا والآخرة فالجزء من الكل يلتزم بالبداهة نفس الهدف وكما تسرى تعاليم الاسلام على الكل تسرى على هذا الجزء بالذات • اذن النشاط الاقتصادي في الاسلام مفروض فيه فرضا حتميا أن يلتزم الهداية الالهية المتمثلة في تعاليم الاسلام وفي مقدمتها القيم الخلقية التي فرضها القرآن وفصلتها السنة •

« قد أفلح المؤمنون • الذين هم في صلاتهم خاشعون • والذين هم عن اللغو معرضون • والذين هم للزكاة فاعلون • والذين هم لفروجهم حافظون • الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمنهم فانهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فلؤلئك هم العادون • والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون • والذين هم على صلواتهم يحافظون • أولئك هم الوارثون • الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » (١) •

« وابتغوا اليه الوسيلة واجهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » (٢) •

« ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون » (٣) •

(٢) المائدة : ٣٥

(١) المؤمنون : ١ - ١١

(٣) الروم : ٣٨

والنشاط الاقتصادي الذي يباشره المسلم هو بضعة من هذا العمل الذي يؤدي الى الفلاح المنشود •• فلا غرو أن يكون سعيه فيه متجها الى هذا الهدف •

ويجب أن نقرر أن مطلب « الفلاح » هذا يتجاوز في مداه مطلب « الرخاء » الذي تدعو اليه بعض المذاهب في الاقتصاد المعاصر ذلك أن الرخاء عندهم هو مطلب مدى بحث وفي أحسن معانيه يشير الى صلاح أمور هذه الحياة الدنيا • أما مطلب « الفلاح » في الاسلام فيجمع بين خير الدنيا وخير الآخرة • ذلك لأن الآخرة عند المسلم حقيقة ثابتة والدنيا عنده مزرعة للآخرة • فكان من الطبيعي أن يجعل سعيه في الدنيا يتفق مع طلب الفلاح في الآخرة وأن يربط بين فلاحه الدنيوي وفلاحه الأخروي في اطار واحد برباط وثيق ومن هنا كانت الاختلافات بين النشاط الاقتصادي الاسلامي والنشاط الاقتصادي المعاصر اختلافات جوهرية» (١) •

ويزيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم بيانا في أمر العمل في الاسلام فيقول : « ما من مسلم يغرس غرسا الا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق عنه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يبرزؤه أحد الا كان له صدقة » •

بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر المسلم بزرع الفسيلة (٢) أن وجدت في يده وقت قيام الساعة •• وهكذا يوضح لنا الرسول ويبين ما جاء في القرآن الكريم من أهداف الحياة على هذه الأرض وما أمر الله به الانسان من اعمارها واستخراج خيراتها الظاهرة والباطنة التي أودعها الله فيها والتعرف على الخالق العظيم في أسرار مخلوقاته •

ويحفزنا الرسول الى الجد في العمل لأن كل عمل لله يدخر لنا الله من أجله • الأجر الكريم وهو القائل جل ثناؤه : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (٣) •

وفي الدعوة للعمل الجاد لآعمار الأرض يقول المولى عز وجل : « فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » (٤) •

(١) ص ٢٩٧ ، ٢٩٩ من كتاب المؤتمر

(٢) الفسيلة الجزء من النبات يقطع من أصله ليعاد زرع •

(٣) التوبة : ١٠٥ (٤) الجمعة : ١٠

« وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم » (١) •

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » (٢) •

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله » (٣) •

وفضل الله ورزقه سبحانه فى هذه الآيات وغيرها كثير ينبه الانسان الى الصلة القائمة أبدا بين الساعى الى الرزق والرزاق الكريم ، والمزاوجة الأبدية بين الروح والمادة فى كل تكاليف الاسلام •

والرسول صلى الله عليه وسلم الذى أوتى جوامع الكلم يلخص كل ذلك فى حديثه الشريف عندما رأى صحابته يوما ينظرون الى شاب يسرع الى العمل فقالوا : « لو كان ثوباه وجلده فى سبيل الله ، فقال لهم : لا تقولوا هذا •• فان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان » •

ويقول عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشيء لا يحبه الا الله » •• فاذا كان الله غايتنا فى كل سعى فى الحياة فلنبشر ولنستمع ونؤمن ببشارة الرسول الكريم : « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله وجهه كالقمر ليلة البدر » •

واذا كان الله غايتنا فلتكن هممنا عالية تتسق مع هذه الغاية التى ليس وراءها غاية ولا نخشى شيئا لأن الله لا يتعاضمه شيء والرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد بشارته لنا فى قوله : « سلوا الله الدرجات العلى ، فانما تسألون كريما واذا سألتم الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فان الله لا يتعاضمه شيء » •



(٢) الملك : ١٥

(١) الاسراء : ١٢

(٣) الجاثية : ١٢

حوافز العمل

لقد رأينا عظم الغاية من العمل في الاسلام وقد كان لابد للمسلم كى يسعى جاهدا الى غايته العظمى من ضمانات أو حوافز تدفعه وتهديه الى الطريق المستقيم الذى يؤدى به الى هذه الغاية •

واذا كانت النظم الاشتراكية تلتزم بتوفير فرصة العمل لكل مواطن ليشعر بالأمن والاطمئنان الى سبل الرزق فان القرآن الكريم من ألف وأربعمائة عام مضت وقبل ظهور التطبيقات الاشتراكية المتعثرة يقول :

« وفي السماء رزقكم وما توعدون » (١) •

« وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها » (٢) •

« وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وأياكم » (٣) •

وغير ذلك كثير من آيات القرآن التى تهدف الى تأمين الانسان على حياته فيسعى ويدخل في مجال السعى والعمل وهو مطمئن آمن لا يساور نفسه قلق وخوف وبذلك يكون ايجابيا في سعيه وعمله ومتقنا ومجيدا لهذا العمل موقنا بصدق وعد الرزاق : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » (٤) •

والاقبال على العمل واجادته هما أقصى ما يرجى من الانسان لأنه في العمل وحده تتجلى إنسانيته ويظهر فيه ابداعه •

ولم يكن اسناد الرزق الى الله تعالى في مثل هذه الآيات دعوة الى التواكل والتقاعد به هى دعوة للعمل لأن القعود عن السعى يضاد قانون الحياة الانسانية ويضاد الرسالة التى طلب من الانسان أداؤها •

والاسلام في ذلك يدعو الفرد لبذل الجهد وافراغ طاقاته التى وهبها الله له ليعمل في حدود امكاناتها لا أن ينتظر من الدولة أن تدبر له كل أموره كما في النظام الاشتراكي الذى حاول أن يطبق أحلامه ونظرياته

(٢) هود : ٦

(٤) الأعراف : ٩٦

(١) الذاريات : ٢٢

(٣) العنكبوت : ٦٠

انخيلية ففشل رغم مذابح لينين وستالين في روسيا عندما حاولا تطبيق الشيوعية التي تتنادى بالمساواة في الأجر بين الجميع أو كما يقولون : « من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته » .. حتى اضطر ستالين أن يقرر في مؤتمر الانتاج الذي عقده سنة ١٩٣١ بأن : « سير التقدم قد تعثرت خطاه نظرا للطريقة التي يسير عليها العمال من اهمال وتكاسل نظرا لاطمئنانهم الى المساواة في الأجر .. » وقال : « اذا أردنا المقدرة الصناعية فلا بد أن يكون الأجر على درجات تحدد الفروق بين العامل الحاذق وغير الحاذق والعامل المجتهد والعامل البليد ويجب أن يحدد الأجر لا بحسب حاجة العامل بل بحسب ما أتم من عمل » .

وبعد حملة تطهير أخرى دامية وقف ستالين سنة ١٩٣٤ يتحدث عن معارضيه قائلا : « ان هؤلاء القوم يحسبون أن الاشتراكية الشيوعية تستلزم المساواة في الأجر ، ألا ها أسخفه من رأى ؟ ان المساواة التي نادوا بها أضرتنا أكبر الاضرار » (١) .

ولقد اتجهت روسيا بعد ذلك الى اقتباس النظم الرأسمالية لحفز عمالها الى تجويد وزيادة الانتاج وقد لخص كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي في اجتماع اللجنة المركزية للحزب المنعقد في سبتمبر سنة ١٩٦٥ ما يراه من أسس جوهرية لهذا التطوير الجديد على الوجه الآتي :

١ - الاهتمام بالحوافز المادية على نحو أكثر فعالية ، بحيث يشعر العامل بأثر العائد المادي في حياته المعيشية مباشرة ويجب أن يرتبط الحافز المادي بانتاجية العامل الفعلية .

٢ - الاهتمام بعنصر الربح ، لا باعتباره مكسبا خاصا لأصحاب المال والحافز الوحيد لهم كما هو في النظام الرأسمالي بل باعتباره أن الربح يشكل معيارا - في حالات كثيرة - يقاس به نجاح المشروعات الصناعية .

٣ - ضمان وتأكيد مبدأ الادارة الذاتية لكل فرع من فروع الصناعة واعتبار الادارة الذاتية جزءا لا يتجزأ من التنظيم الاقتصادي .

(١) ص ٢٨٩ من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة .

٤ - الاهتمام الجدى بحساب التكاليف تجنباً لما يحدث من ضياع وزيادة فى التكلفة الانتاجية بغير مبرر (١) •

لكن الاسلام حين يدعو الانسان لأن يسعى ويكد ويشقى فى سعيه يحفز به الى ذلك بالحوافز التى تتفق ومنهج الأخلاقى ودعوته التى تحكم الصلة بين العبد وربّه •

ويبدأ الاسلام دعوته ببيان شرف العمل وما فيه من خير ولذة من لذات الحياة فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » •

هل جربت يا أخى طعم الراحة بعد التعب والتعب بعد الجوع والنوم بعد السهر ؟

ان الذى يعيش فى فراغ وراحة اذا ذهب الى فراشه لا ينام بل يتقلب على جمرات من النار بينما هذا العامل المتعب ينام ويستغرق فى النوم وتشعر كل عضلة فى جسده بلذة الراحة فيقدر نعمة النوم •• وان اللقمة التى تأكلها بعد جوع مهما كان نوعها أو قلة غذائها أو رخص ثمنها لهى أشهى وأحلى لقمة تدخل جوفك •• وان صائم رمضان ليدرك هذا المعنى عند افطاره ويدرك ادراكاً واعياً حقيقة معنى الحديث الشريف الذى يحضنا على العمل لنعرف ونتذوق أنعم الله ونقدرها •

ويقول الله عز وجل مخاطباً آدم عليه السلام عندما أهبطه الى الأرض : « ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى » (٢) وهذا وعد من الله وعلى الدولة المسلمة أن تقوم على تنفيذه فتضمن الضرورات الأساسية لحياة الانسان المسلم من مأكل وملبس ومسكن حتى يمضى حياته مطمئناً آمناً •

واذا قال القرآن الكريم : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » (٣) فإنه يقرر سنة من سنن الكون الثابتة فى الحياة والتى عجزت كل النظم الوضعية عن تغييرها • فالكل مسخر للكل •• العامل مسخر للمهندس.

(١) ص ٢٩٠ من المرجع السابق •

(٢) الزخرف : ٣٢

(٣) طه : ١١٨

وصاحب العمل والمهندس مسخرن للعامل وصاحب العمل مسخر لهما
يدبر لهما الأموال واحتياجات العلف ورئيس الدولة مسخر لرعيته يخدمهم
ويسعى لرفاهيتهم ولولا هذا التسخير لما دارت عجلة الحياة •

والذى خلق الحياة وأراد لها البقاء لم يخلق الناس نسخا مكررة
بل هناك كفاءات واستعدادات متفاوتة •• هناك ذو الذكاء أو صاحب
الصوت الجميل أو القدرة على العمل اليدوى •• الخ •

ومن هذا التفاوت فى الاستعداد تتفاوت النسب فى الرزق وقد
تختلف هذه النسب من مجتمع الى مجتمع آخر لكنها موجودة فى كل
مكان حتى أن بعض المجتمعات الاشتراكية تصل النسبة فيها بين أكبر
مرتب وأصغر مرتب الى خمسة وثلاثين ضعفا • لأن هذه المجتمعات لم
تستطع أن تساوى بين العامل والمهندس ولا بين الجندى والقائد فأعطت
كلا حسب مسؤوليته وحسب اجتهاده •

وذلك كله شأن الرزق والمعاش فى الدنيا وهى قيم ضئيلة جد ضئيلة
عند الله •• «ورحمة ربك خير مما يجمعون» •• فهى لمن هو أهل لها
ولا علاقة بينها وبين عرض الدنيا ومتاعها الزائل •

ومع ذلك فالاسلام يضع أجر العامل فى مرتبة من القداسة كبيرة
ويتوعد الله من يأكل حق العامل بأشد العذاب فيقول الرسول صلى
الله عليه وسلم فى الحديث القدسى عن رب العزة : « ثلاثة أنا خصمهم
يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل
استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره » ••

ويمضى الاسلام فى رعاية العامل وتوفير الحقوق والضمانات له حتى
نح أقصى المدى فى قوله صلى الله عليه وسلم : « من كان لنا عاملا
فليكنسب زوجة فان لم يكن له خادم فليكنسب خادما فان لم يكن له
مسكن فليتخذ مسكنا أو ليس له ذابة فليتخذ ذابة » •• وذلك كان بيت
مال المسلمين يعين غير المتزوج على الزواج وفى هذا الحديث ما يشير
أيضا الى توفير وسيلة المواصلات الى جانب سبل العيش المعقول الذى
يبسر حياة العامل ••

وهناك ما يدعوا الى تحديد ساعات العمل أو تقرير الأجر الاضافى

في قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تكلفوهم — الأعمال — من العمل ما لا يطيقون فاذا كلفتموهم فأعينوهم » •

كل هذه الرعاية ليتقن العامل عمله في رقابة من ضميره ودينه •• يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا عمل أحدكم عملا أحب الله أن يتقنه » •

واذا أتقن عمله فقد تحسن أجره وزاد دخله من عمله الذي هو فريضة على المسلم بعد الفريضة كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم •

« لأن المسلم مكلف بالانفاق على نفسه ثم بالانفاق على أسرته ومن يعولهم ثم بالادخار لأحداث الزمن ثم بالانفاق في سبيل الله وخدمة المجتمع • فهذه تكاليف أربعة وهي ليست مجرد تكاليف أدبية بل كثيرا ما ترقى الى تكاليف شرعية قابلة للتنفيذ عليه من جانب ولى الأمر •

يقول الشاطبي في موافقاته في الجزء الثاني بصدد بيان التكاليف العينية على المسلم :

« انها تكاليف عينية ، فهو مأمور بحفظ دينه اعتقادا وعملا ، وبحفظ نفسه قياما بضرورة حياته ، وبحفظ عقله حفظا لمورد الخطاب من ربه عليه ، وبحفظ نسله التفاتا الى بقاء غرضه في عمارة هذه الدار •• وبحفظ ماله استعانة على اقامة تلك الأوجه الأربعة • ويدل على ذلك أنه لو فرض اختيار العبد خلاف هذه الأمور لحجر عليه وحيل بينه وبين اختياره • فمن هنا صار فيها مطلوب الحظ ، محكوما عليه في نفسه ، وان صار له فيها حظ فمن جهة أخرى تابعة لهذا المقصد الأصلي » •

ازاء هذه التكاليف فرض الاسلام على المسلم الجد في اختيار خيرات الأرض التي استخلفه الله فيها لتعميرها واستثمار ما في باطنها وظاهرها وحثه على طلب الرزق وابتغاء المزيد منه ونهى المسلم عن الاستكانة للفقر ما دام في طاقته أن يتخلص منه ويرتقى الى مراتب الغنى • ولكنه في نفس الوقت يحذر المسلم من أن يجعل كسب الغنى غاية في ذاته ، اذ هو مجرد وسيلة الى غاية ، الغاية العليا أو الهدف

المشترك الذى قلنا انه ابتغاء وجه الله وفلاح المسلم فى الدنيا والآخرة»^(١) .

يقول تعالى :

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه »^(٢) .

« ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم »^(٣) .

« وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم »^(٤) .

وقد استعاذ رسول الله من الفقر وقال : « كاد الفقر أن يكون كفرا » كما قال عليه الصلاة والسلام : « اذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب أرزاقكم » .

وهكذا يمضى الاسلام فى هذا الربط الكريم بين الدنيا والآخرة وفى جعل جوافز النفس للعمل أرقى من حوافز المادة لأنها تربطه بالأسواق العليا والتطلعات السامية لما هو خير وأبقى ونلمس هذا الميزان الدقيق الذى ينفخه القرآن الكريم فى وعى المسلم ووجدانه حتى لا تطغى احدى كفتى الميزان على الأخرى وحتى يكون أمره كله لله دائما : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »^(٥) .

وفى ختام هذا الباب لا يفوتنا أن نذكر عاملا هاما من حوافز العمل يتعلق بواجب فرضه الاسلام على صاحب العمل وولى الأمر يشعر العامل بأن عمله مقدر وأن اجتهاده يلقى الجزاء الأوفى ذلك هو واجب توسيد العمل للرجل الذى يجيده أو بلغة العصر « أن يكون المكان المناسب للرجل المناسب » .

(١) ص ٢٩٩ من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية من بحث

الدكتور عبد الله العربى .

(٣) البقرة : ١٩٨

(٢) الملك : ١٥

(٥) الجمعة : ١٠ ، ٩

(٤) الاسراء : ١٢

وهو ما تكشف عنه قصة يوسف عليه السلام كما أوردها القرآن الكريم .. فبعد أن ذكر يوسف تأويل رؤيا الملك عن « سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات » (١) ثم أشعار بما يجب اتخاذه من تدابير لتفادي الكارثة المحتملة وأعوام القحط المقبلة .. رأى الملك أن يعهد اليه بوضع الخطة اللازمة للأمر والاشراف على تنفيذها : « وقال الملك أتتوني به أستخلصه لنفسي ، فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين » (٢) .

فلما قبل يوسف المهمة « قال اجطني على خزائن الأرض ، انى حفيظ عليم » (٣) .

لقد أدرك يوسف خطورة المسؤولية الملقاة على عاتقه وهى تجنيب البلاد مخاطر المجاعة فطالب بتمكينه من أداء هذه المهمة الخطيرة واطلاق يده فى التدبير « اجطني على خزائن الأرض » .. وهو ما يجب أن يكون فى علاقة العامل برب العمل ..

ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عدم اختيار الأكفأ هو خيانة لأمانة المسلمين وغش للأمة فيقول : « من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » ..

بل انه جعل ذلك من أشراط الساعة عندما سأل رجل : متى تقوم الساعة ؟ فقال : « اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » ، فقال الرجل : وكيف اضاعها ؟ قال : « اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة » .



(٢) يوسف : ٥٤

(١) يوسف : ٤٣ ، ٤٦

(٣) يوسف : ٥٥

شروط العقد

لقد كان الاسلام نقطة تحول خطيرة في تاريخ البشرية بما حمل. اليها من مبادئ جديدة كل الجدة بل بما أحدث من ثورة كبرى في تصور الناس للقيم والمبادئ الانسانية . جاء الاسلام ونظام الرق معترف به في العالم كله كما كان الرق أساس الاقتصاد في هذه الدنيا .. فالاغريق أباحوا الرق والامبراطورية الرومانية بنيت على الرق .. وكان السيد يشتري الأرض بمن عليها من عبيد والعبيد هم القوة العاملة في معظم الدول والسادة عليهم الحرب والدفاع عن الدولة .. والسادة هم المهيمنون على مصائر الناس جميعا لهم التوجيه وعلى الناس الطاعة دون فهم أو مناقشة أو حتى حق السؤال .

وظلت أوروبا ترزح تحت نظام الاقطاع حتى العصر الوسيط وعندما اكتشفت أمريكا لم تستغل اقتصاديا الا بملايين العبيد الذين جلبتهم العصابات البيضاء من افريقيا السوداء وظل نظام العبيد بها الى ما بعد عام ١٨٦٠ عندما حاربت الولايات الشمالية من الولايات المتحدة بزعامه ابراهام لنكولن ولايات الجنوب من أجل إلغاء الرق في أمريكا الذي اتخذ بعد ذلك صورا أخرى ما زالت تمارس حتى اليوم .

وفي بلادنا عندما ضعفت روح الاسلام في النفوس وتراجع الوازع الديني في القلوب شاهدنا حتى عهد قريب ألوانا من العبودية تنقشع منها الأبدان مما تحاول الدول الحد منه بتشريعات العمل المختلفة التي تحدد ساعات العمل وأدنى أجوره ، ويتحدد هذا الحد الأدنى للأجور في كثير من البلاد دون نظر الى حاجات آدمى الضرورية وما يحفظ عليه كرامته . بينما يروى لنا التاريخ أن رجلا ذهب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يشكو عماله لأنهم سرقوا بعض ماله لكن عمر عندما علم أن هؤلاء العمال انما سرقوا لأن صاحب المال لا يعطيهم الحاجة وما يكفي ضروراتهم صاح بصاحب المال : « أيها اللص اذا عاد هؤلاء الى السرقة قطعت يدك أنت » ..

وكان في مصر — منذ زمن غير بعيد — قانون يبيح استخدام العامل بدون أجر تحت الاختبار لمدة ستة أشهر وأعلم أن صاحب ملايين كثيرة.

أنشأ المصانع وضخم ثروته أضاعا مضاعفة بفضل هذا القانون وأصبح مصنعه الصغير للنسيج بالقاهرة عدة مصانع للغزل والنسيج بالقاهرة والاسكندرية •

لقد كان هذا اللص يستخدم العامل بدون أجر لمدة خمسة أشهر أو ستة أشهر إلا بضعه أيام ثم يفصله من العمل بحجة أنه غير صالح مستحلا عرقه ودمه (١) •

وكانت الحكومة إذا أصدرت قانونا ليسكن من ثورة هذه النفوس البشرية كأن تجعل للعامل حقا بعد كذا من السنين في مكافأة أو معاش تسارع بعض الشركات الفاجرة الى طرد عمالها القدامى حتى لا ينالوا حقهم وحتى يذلهم الجوع ثم يتفضل اصحاب الشركات بعد ذلك باعادة من يشاءون منهم بصفتهم عمالا جددا •• أى بعد أن يغتصبوا حقهم الذى قرره لهم القانون ••

أما النقابات •• فكم من النقابات شككت مجالس ادارتها بانتخاب الأعضاء الذين رشحتهم الادارة أو رشحهم صاحب العمل فأصبحت النقابة التى فرض فيها الدفاع عن حق العامل مطية لصاحب المال وحربا على العامل المسكين •

لكن الاسلام الذى نزل رحمة للعالمين بدأ منهاجه فى العمل باجتثاث تلك القواعد التى تقر التمييز الطبقي بين الناس على غير أسس من عمل صالح فنرى القرآن الكريم يعتب على الرسول صلى الله عليه وسلم أشد العتب لاعراضه عن فقير أعمى جاءه يستشيريه فى أمر دينه لانشغاله بدعوة بعض سادة قريش الى الاسلام •• فيقول الحق تبارك وتعالى :

« عيسى وتولى • أن جاءه الأعمى • وما يدريك لعله يزكى • أو يذكر فتنتفه الذكرى • أما من استغنى • فأنت له تصدى • وما عليك ألا ييزكى • وأما من جاءك يسعى • وهو يخشى • فأنت عنه تلهى • كلا أنها تذكرة » (٢) ••

وهكذا يرسم القرآن فى قوة الخطوط الجديدة للقيم الانسانية ••

(١) من كتاب نظرية الاسلام الاقتصادية للمؤلف •

(٢) عيسى : ١ - ١١

فليس الأمر أمر غنى المال أو عزة الجاه أو العصبية .. كلا .. ان الله يريد الذين يبتغون وجهه ويلتمسون الراحة عنده « والتائبين الذين يبحثون عن مرفأ والخائفين الذين يبحثون عن مأمن والمستضعفين الذين يبحثون عن ملاذ والبسطاء الكادحين المائلين حياتهم بالعمل والعناء .. أولئك الذين من أجلهم رفعت راية الله في الأرض لتظلمهم تحتها ولتعلن قيام عالمهم وبعث أيامهم وزحف صفوفهم .. » (١) •

« وما يدريك لعله يزكى » •

أجل .. لعله أقرب الى الله من كل عتل متكبر أو غنى مستعل .. ولم لا ؟ ألم يتقدم هذا المجتمع الفاضل بلال وصهيب وخباب واخوانهم البسطاء والفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حققوا معجزة القرآن وأخرجوا للعالم خير أمة شهدتها الأرض ؟

وهم أنفسهم الذين كان يجلس محمد صلى الله عليه وسلم ليشاورهم في الأمر وفيهم العبد والعامل الفقير « لأن النوع الانسانى لم يوجد لتنتشر صفوفه الى أغنياء وفقراء .. ولا الى سادة وعبيد .. ولا الى أقوىاء وعجزة .. ولا الى رعاة وسوائم .. انما وجد ليتحرك صفا واحدا داخل خطوط متكافئة من القدرة والسيادة والكفاية » •

أما التفضيل الذى ذكره الاسلام فليس بما يملك الانسان من مال بل بالعمل الدائم فى صدق وشوق لتحقيق الخير والكمال وعلى قدر نصيب كل فرد فى هذا العمل الجامع والسعى المشترك يكون قدره فى المجتمع ومكانته لدى العليم الخبير القائل : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٢) •

وهكذا يحتم الاسلام على المسلمين أن يحققوا كفايتهم من كل أنواع العمل وقد تحقق ذلك فى مرحلة من مراحل حكم الاسلام فساد المسلمون وكان أرقى مستويات العلم والفنون فى العالم الاسلامى وصار العالم كله عالية على جامعات المسلمين يلتمسون لديهم نور العلم والمعرفة وهو ما يجب أن نسارع اليوم لاستكمالها كما أمر بذلك الدين الذى جعل

(١) « كما تحدث القرآن » لخالد محمد خالد ص ٥٨

(٢) الزلزلة : ٧ ، ٨

« طلب العلم فريضة على كل مسلم » وطالبنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالتماس العلم في كل مكان « ولو بالصين » أى ولو بأقصى الأرض •

والاسلام في ذلك لا يألوا جهدا في تشجيع أفرادهم على العمل وبذل الجهد لتحقيق الرفعة للمسلمين ولذلك كان من أهم ما عنى به في باب العمل هو تنظيم العلاقة بين العامل وصاحب العمل على أسس سامية ودقيقة تحفظ لكل ذي حق حقه وتمنح العامل فرصته للتجويد والالتقان في ظل الضمانات التي كفلها له الاسلام ليعيش في أمن وسلام •

ولما كان تعريف العمل أنه « بيع منفعة » هو نفس تعريف الاجارة شرعا كما قدمنا فانه يلزم لذلك أن يتضمن عقد العمل الاسلامي :

١ - صيغة الايجاب والقبول من طرفي العقد •

٢ - تحديد الأجر •• يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استأجر أجيرا فليسم له أجره » لأن ذلك أدعى لطمأنينة العامل ولانتفاء الغرر وأسباب النزاع •

٣ - المنفعة وهي محل العقد والمقصود بها في عقد العمل نوع العمل أو ماهية العمل الذي سيقوم به العامل •

٤ - وفي حالة الأجير الخاص - كأن يستأجر شخص كاتباً لأعماله أو محاسباً أو طبيباً للعناية بصحته - أو كان عمل الأجير غير محدد كمن يقومون بمختلف الأعمال التي توكل اليهم من حراسة أو نقل فيجب أن يكون العقد في هذه الحالة من عقود المدة ويستحق العامل الأجر سواء عمل أو لم يعمل (١) •

٥ - يأخذ الاسلام بمبدأ أجر المثل وهو الأجر الذي يقدره أهل الخبرة وذلك درءاً للمظالم •

٦ - كفاية الأجر : والاسلام حريص على تحقيق هذا الشرط بكافة السبل لما فيه من نفع للعامل في دينه ودنياه ونفع للأمة كلها • ولايضاح ذلك نبداً بذكر ما يقرره رجال الاقتصاد الحديث الذين يقولون بأن : « السوق المحلية هي أضمن الأسواق » •• لكن كيف نضمن أن تقوم هذه السوق بوظيفتها كأكبر عميل لانتاج الدولة ؟

(١) ص ١٢٩ من الجزء الثاني من صحيح البخارى المفسر •

لا شك في أن الطبقة العاملة في أى مجتمع بشرى تمثل الأغلبية
انساحقة من هذا المجتمع سواء أكانت هذه الطبقة من عمال المصانع أو
عمال المزارع أو من الطائفتين معا .. والعمال بهذه الكثرة يمثلون القوة
الشرائية التى يوجه إليها الانتاج فى الدولة .

وفى ظل الرأسمالية يكون العمال أجراء لرأس المال ويحرص
أصحاب المال على ابقاء مستويات الأجور عند الحد الذى يكفل بقاء
العامل قائما بواجباته ولا تصل الأجور الى أى مستوى يؤثر فى الفواصل
بين طبقات المجتمع .

ونحن جميعا نلمس فشل النظام الرأسمالى فى تحقيق عدالة التوزيع
فى الدخل التى ترفع القوة للشرائية لدى أغلبية الشعب كما فشلت
أيضا فى رفع نير البطالة عن المجتمع .

ويقول اللورد كينز فى كتابه « النظرية العامة » :

« ان أهم الأخطاء البارزة فى اقتصادنا المعاصر اثنان هما : أولا :
الفشل فى تحقيق العمالة الكاملة . وثانيا : التوزيع الحكيم الغاشم لكل
من الثروة والدخل على نحو لا يحقق العدالة ..

وقد شهدت انجلترا تقدما هائلا فى نظم الضرائب من حيث عدالة
توزيع أعبائها على كل من الدخل والثروة كما استحدثت من الضرائب
على الايرادات والتركات ما كان جديرا به أن يقرب بعض الناس من
بعض .. لكن هذا لم يحدث بالقدر الكافى » (١) .

ويرى اللورد كينز بعد ما عرض المشكلة أن الحل الأمثل لتحقيق
العمالة الكاملة هو تخفيض سعر الفائدة على النقود لتشجيع الاستثمار
الذى تستتبعه زيادة فى فرص العمل وهو الأمر الذى لم يتحقق حتى
الآن بل العكس هو الصحيح اذ أن العالم يشاهد فى هذه الأيام — عام
١٩٧٧ — ارتفاعا متواصلا فى سعر الفائدة .

أما فى ظل الشيوعية فالأجبر هو الأجبر بفارق أنه فى ظل الشيوعية
أو أنماط الاشتراكية المختلفة يستبدل بسيادة الممول سيادة الدولة ولم

(١) ص ١٥٩ من بحث الدكتور عيسى عبده ضمن كتاب مختارات الاذاعة
المصرية لسنة ١٩٦١ .

يتحسن وضع الأجير في ظل العقود الجماعية عنه في ظل عقود العمل الفردية •

بينما يرى الاسلام أن حل هذه المشكلة وتحقيق سعة السوق المحلية هو في التقريب بين الناس — الذي تمنى لورد كينز أن يراه حقيقة في حياته دون جدوى — • وهو ما يحقق رفع دخول الأفراد وبالتالي مستوى معيشتهم فيزيد استهلاكهم وبالتالي يزيد الانتاج ويتحقق الانتعاش الاقتصادي وفرص العمل للجميع •

وسبيل الاسلام الى ذلك ذو ثلاث شعب :

الأولى : قانون المواريث — لا ضريبة التركات — الذي يعمل على تفقيت الثروات وتوزيع المتكسب منها على أعداد متزايدة من العباد •
الثانية : زكاة المال وهي ٢ ٪ من رأسمال التجارة أو المدخرات و ٥ ٪ من ناتج الزراعة ذات التكلفة أو ١٠ ٪ من ناتج الزراعة المطرية و ٢٠ ٪ مما تخرج الأرض من المعادن وغير ذلك من صنوف الزكوات المفصلة في كتب الفقه والتي يرى الاسلام أن توزع على المستحقين في نفس موطن تحصيلها ليتحقق التكافل الاجتماعي بين أهل القرية مثلا وتتحقق المودة بين الناس •

وأول مصارف الزكاة هم الفقراء والمساكين لينالوا حظهم من طيبات الحياة •

الثالثة : قداسة أجر العامل حتى ليقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره » (١) •

وهذا الأجر الذي يقدره الاسلام ليس ما يجود به صاحب العمل أي كان بل حدد له الاسلام حدودا ورسم له قواعد أدناها أن يكفل حاجات الحياة الضرورية للعامل من مأكلا وملبس ومسكن •

والاسلام في ذلك يقرر أن المعطى اذا أعطى فهو يعطى من مال الله، والآخذ انما يأخذ من فضل الله • يقول تعالى : « والأرض مدناها »

(١) رواه البخارى •

وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج • تبصرة وذكرى
لكل عبد منيب • ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب
الحصيد • وأنزلنا بأسقام لها طلع نضيد • رزقا للعباد ، وأحيينا به بلدة
ميتا كذلك الخروج» (١) •

لأن الاسلام يحارب الفقر الذى يمتن كرامة الانسان ويزرع
الحقد فى القلوب ويوهن العلاقات بين الناس بل ويزرع الايمان فى
النفوس •

ويحدثنا الأستاذ عبد المنعم خلاف عن ذلك فى كتابه « المادية
الاسلامية وأبعادها » فيقول :

« والذين يريدون أن يأخذوا جماهير الناس بيسر وسهولة الى
الايمان الفطرى بالله الخالق ورحمته وعدله لا يستطيعون أن يحققوا
ذلك كما ينبغى ما دام عذاب تلك الجماهير بالفقر والحرمان مسيطرا
على النفوس لأن الله الخالق انما دعا الناس اليه وعرفهم بذاته من
طريق التذكير بنعمه وأفضاله عليهم وامتناعه لهم وصنعه فى الطبيعة من
أجلهم •• وقد أدام تذكيرهم بآلائه التى لا حدود لها ورحمته الغامرة
التى يتجلى بوضوح أن بناء الكون كله قائم عليها •• وجعل عبادته
والايمان به عن طريق تذكر هذه النعم وشكرها كما قال القرآن :
« فليعبدوا رب هذا البيت • الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من
خوف » (٢) و « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون • الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من
السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » (٣) •

وواضح أن توجيه القرآن خطبه للناس جميعا حينما يذكرهم بنعم
الله الأساسية قاطع فى الدلالة على أن هذه النعم لا تخص فردا أو جماعة
أو أمة محدودة منهم بل هى عامة مشاعة لهم جميعا ، فيجب ألا يستأثر
بها ويحتكرها فريق منهم لنفسه ويحرم الآخرين فيكون ظلما طاغيا
مبدلا للأوضاع العادلة التى أرادها الله للناس جميعا •• كما يجب ألا

(٢) قریش : ٣ ، ٤

(١) سورة ق : ٧ - ١١

(٣) البقرة : ٢١ ، ٢٢

يرضى ويستسلم الفريق المظلوم المنهوب دون أن يكافح عن حقوقه الأساسية ونصيبه في هذه النعم .. والا وقع تحت مسئولية تضييع نفسه وتفريط في حقه ، لأن القرآن لا يعفى المستضعفين الذين قبلوا الظلم من مسئولية عدم المقاومة للظالمين ولو بالهجرة من أرضهم على الأقل ان لم يستطيعوا المقاومة الايجابية « أن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مساوهم جهنم ، وساعات مصيرا » (١) .

وأعتقد أن أئمة ما يبطيء بالناس عن الدخول في رحاب الايمان الفطرى العارف بالله حق معرفته ، ويعرضهم للفتنة في الدين والحياة هو عذابهم بالحرمان من نعم الله وأفضاله التي جعلها لهم جميعا وعمما بعدله ، ولكن الطفاة والأنانيين حجزوها لأنفسهم ومنعوها عن غيرهم فظن المنوعون المحرومون أن الله هو الذى أراد حرمانهم واهانتهم واکرام الأغنياء والماعين .

وهذا غير صحيح وغير معقول ، وقد بين القرآن هذه القضية بوضوح لا أدرى كيف فات المفسرين للقرآن أن يروه ويوجهوا المسلمين اليه ليصححوا أوضاع حياتهم الاعتقادية والاجتماعية والاقتصادية على مقتضاه ؟ وذلك في قوله من سورة الحجر : « فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمنى . وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهاننى . كلا بل لا تكرمون اليقيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث أكلا لما . وتحبون المال حبا جما » (٢) .

وواضح من هذه الآيات أنها ترد على أوهام الناس في أسباب الغنى والفقر وتبين لهم أن المسألة ليست مسألة اكرام من الله للغنى أو اهانة منه للفقير وانما ترجع أسباب هذه المفارقات في أحوال الناس بين الغنى والفقر الى قسوة بعضهم على بعض والى اخلالهم بالأوضاع الطبيعية التى وضعها الله ، لأنه خلق لهم ما فى الأرض جميعا وأراد الكرامة لهم جميعا وأمرهم أن يتراحموا ويتعاونوا ويتكافلوا .. ولكن الظلمة الأقوياء

(١) النساء : ٩٧

(٢) الفجر : ١٥ - ٢٠

أخلوا بهذه الأوضاع التى وضعها الله ، فخصوا أنفسهم بما استطاعوا الحصول عليه بقوتهم وظلمهم من نعم الله ومنعوا تلك النعم والاکرامات عن الأيتام والضعفاء والمساكين وأمثالهم الذين لا يستطيعون نيل حقوقهم أو الدفاع عنها أو العمل لكسب رزقهم أو القدرة على كفاية أنفسهم . ولم يتواص الناس ويتحاضوا على تنفيذ أمر الله بأداء حقوق أولئك الضعفاء والمساكين فى ماله الذى استخلفهم فيه بل تكالبوا وتذابوا وافترسوا أولئك الأيتام والمساكين والضعفاء وكانوا سببا فى حرمانهم من نعم الله وأرزاقه . وفى شعورهم بالمهانة وتوهمهم أن الله يريد لهم الهوان بالحرمان ، وقد أكل الضغة « التراث » الطبيعى الذى جعله الله رزقا وكرامة للناس جميعا « أكلا لما » ابتلعوا فيه حق غيرهم وأحبوا المال حبا شديدا مفرطا وجمعوه حلالا وحراما .. ثم تناسى الناس أن هذه المفارقات هى من صنع أيديهم وجناية أنانيتهم وجشعهم وقسوتهم ، ولا دخل فيها كما يتوهمون لارادة الله اكرام الغنى بغناه الذى يجعله برحمته وحكمته وسيلة لاختبار شكره ، ولا لارادة الله اهانة الفقير بفقره الذى يجعله كذلك وسيلة لاختبار صبره .

وكان القرآن يقول للناس فى هذه الآيات : لم يرد الله تكريم الضعفاء ولا اهانة الفقير بفقره ولكنكم أنتم الذين لم تكرموا الضعفاء منكم والعاجزين والفقراء وأهنتموهم وأسرفتم فى حب المال وحجزه لأنفسكم وحدها . ولو أنكم جعلتم كل واحد منكم ينال من مال الله ورزقه الذى جعله لكم جميعا ما يسد حاجته لم يقل بعضكم ان الله أكرمنى وبعضكم ان الله أهاننى ، لأن الجميع حينئذ يكونون فى درجة واحدة من الشعور بتكريم الله وعدله ورحمته وكفألته .

وقد اعتبر القرآن الطغيان بالمال والاسراف فى اهلاكه والغرور به وحبسه عن الانفاق لتحرير المحرومين من الحرية ولاكرام الضعفاء والأيتام والمساكين الذين أصابتهم المسغبة وآلام الجوع والحرمان .. اعتبر ذلك هو العقبة الكؤود التى يشق على الانسان اجتيازها واقتحامها فى طريقه الى رضا الله والى البعد عن المكابدة والتعب فى السعى الى نيل الحقوق الطبيعية والنزاع عليها .. تلك العقبة التى تفسد الحياة وتدمرها شؤمها المهلك الذى لا ينجى منه الا العمل الصالح من أجل الجميع والتواصى بالصبر عليه وبتعميم الرحمة والعدالة على الجميع : « وما أدراك

ما العقبة • فك رقبة • أو اطعام في يوم ذى مصغبة • يتيما ذا مقربة •
أو مسكينا ذا مقربة • ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة • أولئك أصحاب اليمنة» (١) ••

اذن فاقترحام عقبة الحياة وتجنب شؤمها يكون في رأى القرآن
الواضح في هذه الآيات باشاعة المرحمة وبتحرير رقاب الناس من أنواع
العبودية والاذلال وبتأمين لقمة العيش وأساسيات الحياة للضعفاء
والعجزة والقاصرين عن السعى لرزقهم، وباتقاء الغرور بالمال والاسراف
في اهلاكه وانفاقه ، فلا يطغى به متبجحا مفتخرا فـ « يقول أهلكت مالا
لبدا » (٢) • ولا يتغاضى في الاسراف فيه واهلاكه عن نظرات الفقراء
وحسدهم وحسراتهم وحقدهم ، وعن تفتيح عيونهم وتطلعهم الى نعم
الله التى حجزها المسرف لنفسه ، بل يجب أن يتذكر دائما أن الله جعل
للفقراء عيونا ترقب في حسرة حقها في هذا المال • وألسنة وأدوات
لنقد والحسد والقييل والقال والسخط الذى يصيبهم به الحرمان ،
وبصيب الحياة الاجتماعية بالشؤم والدمار كما جعل للغنى المسرف تلك
الأدوات : « ولسانا وشفنتين • وهديناه النجدين •• » (٣) •

لكن الاسلام لم يقتصر على الحديث الى ضماائر الأغنياء واستشارة
وجدانهم بل نظم الأمر تنظيمًا ايجابيًا فهو الى جانب ما قرره من حق
للفقراء فى أموال الأغنياء — الزكاة والصدقات — نظم العلاقة بين
العامل وصاحب العمل بما يكفل للعامل حقوقه وكرامته •

فالاسلام يقرر ألا عمل بلا أجر •• فيقول تعالى :

« حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا
فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا » (٤) •

« قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا » (٥) •

(١) البلد : ١٢ — ١٨

(٢) البلد : ٦

(٣) المادية الاسلامية وأبعادها — للأستاذ عبد المنعم خلاف ص ٢٨ —

٣٢ والآية من سورة البلد : ٩ ، ١٠

(٥) القصص : ٢٥

(٤) الكهف : ٧٧

« قالوا لفرعون ائن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين » (١) •

« انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (٢) •

ففى هذه الآيات يعلن الاسلام فى غير لبس ولا غموض أنه لا عمل بغير أجر • وهذا بطبيعة الحال يستتكر بل ويحرم السخرة التى عرفتها ومارستها شعوب كثيرة على مر التاريخ • ومن ذلك ما كان سائدا فى أوروبا خلال العصور الوسطى التى سادها نظام الاقطاع •

ومن هذا المنطلق كان استنكار الاسلام للرق الذى يمثل أفظع أنواع السخرة مما يهبط بالانسان الى مرتبة السائمة أو الآلة • •
فعمل على سد منابع الرق وشجع على تحرير الانسان •
أما الأجر الذى يقرر الاسلام أنه أحد أركان عقد العمل فهو ما يكفل المأكل والملبس والسكن كما ذكرنا • • والعمال من حيث الأجور طائفتان :

الأولى : تلك التى تعمل لجميع الناس بالقطعة أو بالساعة ومن بين هذه الطائفة أناس يعملون فى حرف جرى فى تحديد أجورها العرف أو العادة كحرفة قص الشعر فلا ضرورة فيها لتعيين الأجر طالما أن العرف قد جرى فيها مجرى العقد والاتفاق •

أما اذا كانت البيئة متأثرة بعوامل الجور والظلم التى تتحدى العرف فلا بد من أن يتمسك العامل بحقه فى تسمية الأجر كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « من استأجر أجيرا فليسم نه أجرته » •

أما الثانية : فهى طائفة العمال الذين يعملون لصاحب العمل سواء فى بيته أو أرضه أو مصنعه أو متجره وتنقسم هذه الطائفة الى قسمين :
القسم الأول : يقيم فى بيت صاحب العمل كالخادم وقد شرع لهم الاسلام أكرم تشريع رفعهم الى مرتبة الاخوة فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخوانكم خولكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق فاذا كلفتموهم فأعينوهم » •

(١) الشعراء : ٤١

(٢) الكهف : ٣٠

ومن هذا الحديث نعلم :

أولا : أن للعمل كرامة لا ينقص من شأنها أن العامل لا يملك المال .. كيف وقد رفعه الله بالعمل الى مرتبة صاحب العمل فأمره أن يكون أخا له .. بل ان العمل في البيت رفع العامل الى المكانة التي يستطيع فيها أن يصهر الى صاحب البيت بل صاحب البيت نفسه هو الذي عرض ابنته كما جاء في القرآن الكريم على لسان شعيب النبی وهو يخاطب موسى عليهما السلام : « انی أريد أن أنكحك إحدى ابنتی هاتین علی أن تأجرنی ثمانی حجج » (١) بل ويزيد في استعطاف « فان أتممت عشرا فمن عندك » (١) .

ثانيا : أن الحد الأدنى للأجور هو كفاية المأكل والملبس والسكن .

ثالثا : أن هذا الحد الأدنى يقرر وفق البيئة التي يعيش فيها العامل أى مساويا لمأكل وملبس صاحب العمل وسائر أفراد أسرته لا من سقط متاعهم « فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس » .

رابعا : الحديث لم يتعرض لما فوق الحد الأدنى بل ترك الفرصة للعامل وظروف عمله وفي قصة موسى عليه السلام روى أن النبی صلى الله عليه وسلم عندما قرأها قال : « أجر نفسه والله على عفة فرجه وطعام بطنه » .. أى أنه أجر نفسه بطعمه وكسوته وسكنه ومهر ابنة سيد الدار . وقد راعى صحابة رسول الله تطبيق هذه المبادئ بكل دقة وتحروا مرضاة الله ورسوله في حياتهم فكان أبو ذر الغفاري لا يشتري لنفسه ثوبا الا ويشتري لخادمه أو عبده ثوبا مثله من نفس النوع واللون .

القسم الثانى : الذى لا يقيم مع صاحب العمل كعمال المصانع والمتاجر والمزارع وغيرها .. وهنا يتحدد الحد الأدنى لأجر العامل لا ببيئة صاحب العمل ومستوى معيشته في بيته لأن العامل لا يساكنه في بيته .. بل ببيئة اخوانه من أهل حرفته ولا يقل عن كفاية المأكل والملبس والسكن في المستوى المقرر عرفا لأصحابه .

بل ان الاسلام ذهب الى أبعد من هذا في تقدير الأجر عندما قرر

(١) القصص : ٢٧

حق العامل في أن تكون له أسرة وأن يكون له خادم فلقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً فإن لم يكن له مسكن فليتخذ مسكناً » .

وفي رواية ابن حنبل « من رلى لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً أو ليست له زوجة فليتزوج أو ليس له خادم فليتخذ له خادماً أو ليس له دابة فليتخذ دابة » .

وهذه الرواية الأخيرة تحتم على صاحب العمل أن يكفل وسيلة المواصلات للعامل عنده لا للعمل فقط بل لقضاء حوائجه الأخرى لأن الدابة ستكون ملكاً له أو يعطيه من الأجر ما يكفل له تغطية نفقات انتقاله وهو ما يسمى بلغة العصر (بدل الانتقال) .. ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق « فإذا كلفتموهم فأعينوهم » ..

وهذا الجزء الأخير من حديث رسول الله يضع مبدأ هاماً في العمل .. هو ألا يكون العمل فوق طاقة العامل .. أى لا يستنزف قوته وحيويته .. لأن هذا الذى يستنزف دماء العامل مستغلاً حاجته الى القوت إنما هو لص قاتل سفك يقضى على حياة العامل فى ببطء ويستنزف دماؤه قطرة قطرة .

لكن الاسلام لا يرضى بهذا الاستغلال فيأمر أتباعه بعدم ارهاق العامل أو بجسارة العصر « بتحنيد ساعات العمل » .. « فإذا كلفتموهم فأعينوهم » .. وهذه الاعانة تكون بالأجر الإضافي أو الجزاء الذى ترضى عنه نفس العامل . وإذا كانت المعونة بالمشاركة فى العمل فلا شك أن الاسلام أراد أن يذيق صاحب العمل بعض ما يلقاه العامل من مشقة وعناء ليتقنى الله ويعطى العامل حقه من الراحة ونصيبه العادل من الحياة .. لأن الاسلام يريد أن يخفف عن عباده ولا يجعلهم عبيداً لمطالب الحياة المادية بل لابد أن يجد المسلم ساعة يفرغ فيها الى ربه ويستروح أنسقام القرب منه ولذة المناجاة وحلاوة الطاعة لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما خففت عن خادمك فهو أجرك لك يوم القيامة » وكأننى بالرسول الحبيب يخاطب أصحاب الأعمال فى عصرنا الحالى بعد أربعة عشر قرناً من مبعثه .

ولأن من المعروف حديثاً أن زيادة ساعات العمل لا تؤدي في معظم الأحيان الى زيادة الانتاج لأن العامل المرهق جسدياً لن يتقن عمله . وكلما زاد وقت العمل كلما ازداد العامل ارهاقاً وسنة الله في عباده أن يخفف عنهم وييسر لهم « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (١) . فالذين يرهقهم الصوم لكبر أو مرض أو سفر شاق مرهق يعفون منه « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » (٢) . والاسلام قد أئذّر الناس إذا أرهقوا أنفسهم بالدين أن يصرعهم الدين . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يشاد الدين رجل الا غلبه » .

فاذا كان الاسلام ينهى عن ارهاق النفس بالعبادة فهل يجيز ارهاقها بالعمل الدنيوي . ؟ ألا ان صاحب العمل راع في عمله وكل راع مسئول عن رعيته والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « شر الرعاة الحطمة » الذين يزيّدون وقت العمل فيحطمون عمالهم بما يعييبهم من ضعف وارهاق » (٣) .

والاسلام يحمي أجر العامل من تباطؤ أصحاب العمل ومماطلتهم ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » . فهذا الحديث يقتضي من غير شك الاسراع في دفع الأجر ، وينهى عن المماطلة والتسويف فيه ، ويوصي الفقهاء أن يكون دفع الأجور في أيام العمل لا في يوم الراحة ، وفي مكان العمل أو مقر ادارته ، لأن دفعها في يوم الراحة أو في غير مكان العمل يكون بعد جفاف العرق لا قبله كما أراد الرسول .

وهكذا نجد أن الاسلام ينظم حوافز الانتاج في حقل العمل بما يوفره للعامل من راحة نفسية وبدنية تتمثل في الأجر الذي يكفل حاجياته والعمل الذي لا يرهقه ويسهل أسباب السعادة الدنيوية ويعمل على صيانة المجتمع بتزويج من لا يستطيعون مؤونة الزواج ولو كان ذلك من بيت مال المسلمين لأن راحة العامل توفر خيراً كثيراً للجماعة الاسلامية .

وانه ليبهرنا ما نراه من تعمق الاسلام لأدق مشاكل العمال حتى

(٢) البقرة : ١٨٤

(١) البقرة : ١٨٥

(٣) نظم العمل في الاسلام لجمال الدين عياد ص ٣٧ .

ليقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اياكم والقسامة .. ! قيل : وما القسامة ؟ قال : الرجل يكون على طائفة من الناس فيأخذ من حظ هذا وحظ هذا » .. أليس في هذا التشريع حماية لعمال التراحيل من جشع مقاولي الأنفار الذين يقاسمونهم لقمة العيش وضمانة جديدة يضيفها الاسلام الى ما وضع من ضمانات لأجر العامل الذي يبلغ به مرتبة القداسة ؟!

٧ — عدم سقوط الأجر : ويرى فقهاء المسلمين أن أجر العامل لا يسقط لفساد العقد حتى قبل اتمام العمل وسواء أكان هذا العقد عقد اجارة أو عقد شركة من الشركات بمختلف أنواعها .. « وللعامل — كما يرى البعض حبس العين بعد الفراغ من العمل حتى يقبض الأجرة دون حاجة الى حكم حاكم . ذلك لأن العمل — كما يقول ابن القيم — يجري مجرى الأعيان ولهذا يقابل بالعوض فصار العامل كأنه شريك مالك العين بعمله فأثر عمله قائم بالعين فلا يجب عليه تسليمه قبل أن يأخذ عوضه » (١) وهذا يخالف ما تقول به التشريعات الوضعية من سريان التقادم الخمسى على الدوريات أى سقوط حق العامل فى الأجر اذا مضى عليه خمس سنوات .

فانظر الى سمو التشريع الاسلامى والى أى مدى بلغ فى الحرص على صالح العامل .. انه السمو الذى لم يبلغه أى تشريع أرضى .. ! ولا ننسى أن نضيف فى هذا المقام أن الاسلام يقرر علاوة على ذلك ألا يمس الأجر ولا أداة العمل وفاء لضريبة أو خراج كما جاء فى وصية على بن أبى طالب رضى الله عنه لعماله على الخراج وبذلك يضع الاسلام أجر العامل فى مقام الدين الممتاز أى فوق سائر الديون حماية لحق العامل وعرقه .

٨ — تأمين العامل :

ونقصد بذلك رعايته صحيا من أمراض المهنة كسوء التهوية فى المناجم والرطوبة فى مصانع الغزل وهذا واجب على صاحب العمل بحكم الرعاية التى فرضها الاسلام عليه حيث يقول الرسول : « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » .. واعمالا للقاعدة الشرعية السامية-

(١) كتاب شريعة الاسلام فى العمل لجمال الدين عياد ص ١٠٧ .

التي تهيمن على كثير من التشريعات والتي تضمنها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » والتي تلزم كل مسلم بأن يمتنع عن الاضرار بالغير وبأن يعمل على دفع الضرر .

وتمتد هذه الرعاية الى الشيفوخة أو العجز عن العمل ويفرض الاسلام هنا الاعالة على بيت مال المسلمين ولا يفرق في ذلك بين المسلم وغير المسلم لأن عمر قد فرض ليهودي شيخ يتسول معاشا من بيت مال المسلمين وأمر بوضع الجزية عنه هو وأضرابه . ويقول خالد بن الوليد: أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الاسلام » .

والأصل في ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك مالا فلورثته ومن ترك كالا فالينا » (١) .

والكل كل عيل والذرية منهم فجعل كفالتهم على ولي الأمر أى بيت مال المسلمين والحديث بهذا المفهوم عام يعم كل من أظلتهم الأمة الاسلامية بمظلة رحمتها وهو ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم كما ذكرنا ، لذلك كان عمر يقرر للأرامل حقهن في بيت المال مهما تختلف بهن الديار حتى ليقول : « أما لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعهن لا يحتجن لأحد بعدى » (٢) .

٩ - الأعمال المحرمة :

فلا يجوز شرعا استئجار العامل ليقوم بما حرم الله من أعمال كالقتل أو السرقة أو عصر الخمر أو خدمة السكارى .. فقد لعن الله حاملها والمحمولة اليه كما جاء بنص الحديث .

وعن أبي مسعود الأنصاري « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن » .. والمقصود بثمن الكلب أى كلب ما عدا كلب الصيد أو الحراسة لأن الكلاب الأخرى لا ثمن لها لأنها مال غير متقوم لا تجوز المعاملة عليه .

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) كتاب شريعة الاسلام في العمل لجمال الدين عياد ص ١٢٨ .

ومهر البغى ما يدفع لها وحلوان الكهن هو ما يدفع للعراف لاستطلاع الغيب فذلك اجارة على معصية وكفر •

١٠ - ما يشترط في العامل :

قلنا من قبل ان عقد العمل عقد بين طرفين لا يعطو أحدهما على الآخر لذلك كما وفر الاسلام الضمانات للمامل التى تكفل له حياة آمنة مطمئنة وتضمن له حقوقه لدى صاحب العمل •• فرض على العامل من الشروط والالتزامات التى تؤدى الى اتقان العمل وايفاء صاحب العمل حقه •

والسنة الشريفة تحض على اسنعمال الرجل الصالح خلافا لمن قال : « ان استتجار الصالحين امتهان لهم وذلك عملا بما جاء فى كتاب الله من استتجار شعيب لموسى عليهما السلام لأن استتجار الرجل الصالح الكفاء يؤدى الى قطع أسباب النزاع واستقرار السلام الاجتماعى والارتياح العام بعكس استعتمان الأشرار السيئة أخلاقهم وغير أهل الكفاية والأمانة الذى يؤدى الى الشجار والشقاق والتنازع فتنفسد العلاقات العامة وهذا فضلا عن أن استخدام الصالح يؤدى الى تشجيعه وتكافؤ الفرص بين الصالحين فيتقدمون على غير الصالحين فيتقدم المجتمع كله » (١) •

ولذلك فرض الاسلام على ولى الأمر فى أى موقع أن يختار الأكفأ اذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو بجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله » •

وعن أبى هريرة أن رسول الله قال : « اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال : كيف اضاعتها يا رسول الله ؟ قال : اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة » (٢) •

ويقول الفاروق عمر رضى الله عنه : « من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لا يستعمله الا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » •

(١) ص ١٣٢ من الجزء الثانى من صحيح البخارى المفسر •

(٢) رواه البخارى •

والعامل في نظر الاسلام ضامن لما يعمل فاذا قبل القيام بما لا يجيده من عمل فهو غاشي للمسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من غشنا فليس منا » ..

الغش خروج على الاسلام فهل يدرك العامل المقبل على عمله ذلك ؟

كما أن نقص الخبرة أو قلة العلم تكون من أسباب عدم اتقان العمل ومن كان هذا شأنه لا تفيده أمانته في الوفاء بعمله كطبيب قليل الحظ من علمه فهو لن يستطيع أداء واجبه على الوجه الأكمل مهما صدقت نيته وهو مسئول لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن » .

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفض استعمال الضعيف ولو كان من خيرة الصحابة .. فقد روى أن أبا ذر قال يوما : « يا رسول الله .. ألا تستعملني ؟ ف ضرب عليه السلام على منكبه وقال : يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها » .

والعمل قبل كل ذلك أمانة والمولى عز وجل يقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » (١) .
ويقول : « وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا » (٢) .

كما يقول على لسان ابنة شعيب وهي تحضه على استئجار موسى :
« يا أبت استأجره ، ان خير من استأجرت القوي الأمين » (٣) .

ويقول على لسان يوسف عليه السلام : « اجعلني على خزائن الأرض انى حفيظ عليم » (٤) .

هذه الآيات توجب ضرورة توافر شروط معينة في العامل منها القدرة على أداء العمل واتقان هذا الأداء وأمانة السلوك .

وعندما يحث الله سبحانه وتعالى على أداء الأمانات الى أهلها وعلى

(٢) الاسراء : ٣٤

(٤) يوسف : ٥٥

(١) الأنفال : ٢٧

(٣) القصص : ٢٦

الوفاء بالعهود والعقود فهنا يندرج عقد العمل الذى يتعين بموجبه على العامل أن يؤدى ما أوتمن عليه من عمل على أفضل وجه لأن العمل فى هذه الحالة أمانة فى عنقه .

ومن المعروف أن على كل من اضطلع بعمل من الأعمال أن يبذل أقصى الجهد — بدنيا أو ذهنيا — فى سبيل اتقانه حتى يكون المنتج خاليا من الشوائب والعيوب .

ولا شك فى أن هذا هو ما يميز المجتمعات المتقدمة على المجتمعات المتخلفة وهو الأمر الذى يتطلبه الاسلام من أتباعه ويحض عليه فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

تأمل على سبيل المثال قوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ، صنع الله الذى أتت كل شىء » (١) .

انه تعالى شأنه يرشدنا الى كيفية أداء العمل .. فليس كل عامل صنعا ولا كل عامل صانعا حتى يتمكن ويتدرب ويجيد صنعته .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لنا : « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

وتمتد مسئولية العامل فى الاسلام الى ضمان بعض أنواع الضرر الناتج من تقصيره ويفرق الفقهاء بين ضرر التقصير والاهمال أو الخيانة والضرر الناشئ عن غير عمد أى بقوة قاهرة فيقول ابن قدامة فى كتابه (المغنى) : « فالراعى مثلا لا ضمان عليه فيما أتلف من الماشية ما لم يتعد . أما ما تلف بتعديه فيضمنه بغير خلاف ، مثل أن ينام عن السائمة أو يغفل عنها أو يتركها تتباعد عنه أو تغيب عن نظره وحفظه أو يضربها ضربا يسرف فيه أو فى غير موضع الضرب أو من غير حاجة اليه أو يسلك بها موضعا تتعرض فيه للتلف وأشباه ذلك مما يعد تقريطا وتعديا فتتلف به فعليه ضمانها لأنها تلفت بعدوانه » .

« كما أن العامل مسئول اذا كان من طبيعة عمله أن يقضى للناس هوائهم فاستغل حاجتهم اليه ولم يقنع بما فرض له من الأجر الكافى

(١) النمل : ٨٨

غأخذ من هذا أو ذاك مالا .. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول :
« من استعملناه على عمل ورزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول » •

وقد استعمل الرسول عليه السلام عاملا على الصدقة فلما عاد
يقال : هذا لكم وهذا أهدي الى ، فقال عليه السلام غاضبا : « بما يال
الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول : هذا لكم وهذا أهدي
الى ، فهلا جلس في بيت أبيه أو أمه فينظر هل يهدي اليه أم لا ؟ » (١) •

وخلاصة القول في عقد العمل الاسلامي أنه يتضمن :

- ١ — المساواة بين طرفي العقد •
- ٢ — الايجاب والقبول •
- ٣ — تحديد الأجر الكافي •
- ٤ — نوع العمل •
- ٥ — مدة العقد •
- ٦ — الأخذ بأجر المثل في حالة الخلاف •
- ٧ — عدم سقوط الأجر •
- ٨ — تأمين العامل في حاضره ومستقبله •
- ٩ — لا يجوز النقص فيه على عمل مما حرم الله •
- ١٠ — مسئولية العامل على ما استؤمن عليه من مال أو عمل مفروض
اقتنانه أو حاجات للناس عليه قضاؤهما •



(١) نظم العمل في الاسلام لجمال الدين عياد ص ٦٤ •

عقود أخرى

يحارب الاسلام اكتناز المال ويتوعد من يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بأشد العذاب يوم القيامة يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها ظهورهم وجنوبهم •

ويسعى الاسلام دائما الى ايجاد اللقاء بين رأس المال والعمل من أجل خير الانسان ورفاهية المجتمع لأنه قد يوجد المال لدى الطفل المقاصر أو السفیه الذي لا يحسن التصرف أو العاجز غير القادر على العمل كما يوجد العامل الماهر والعقل المفكر الذي ينقصه المال فإذا اتحد العنصران كان هناك الخير لكليهما •

لذلك أقر الاسلام بعض العقود التي تعارف الناس عليها لما وجد فيها الخير والبعد عن شبهة الربا أو الاستغلال البغيض ونظمها تنظيما يتفق وما جاء به من الرحمة والسلام ووضع الفقهاء هذه العقود ضمن عقود الشركات التي عرفها الاسلام ومن أهم هذه العقود :

١ - المزارعة :

لأن الزراعة لا غنى عنها في هذه الدنيا فهي أهم مصادر الغذاء للانسان والحيوان كما أنها من أهم مصادر المواد الخام كالقطن والكتان والمطاط وغيرها •

ويشجع الاسلام الزراعة والعمل على توسيع الرقعة الزراعية لتوفير الأمن الغذائي لبنى الانسان مع تزايد أعدادهم فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أحيا أرضا ميتة فهي له » (١) •

وهذا الاحياء يتم اما باصلاحها لزراعة أو بالتعمير بالبناء وهو ما أخذ ببعضه التقنين المدنى المصرى الحديث (المادة ٨٧٤) التي تنص على أنه « اذا زرع مصرى أرضا غير مزروعة أو غرسها أو بنى عليها تملك في الحال الجزء المزروع أو المغروس أو المبنى ولو بغير ترخيص من الدولة ولكنه يفقد ملكيته بعدم الاستعمال مدة خمس

سنوات متتابة خلال الخمس عشرة سنة التالية للملك « . . بينما يقول الحديث الصحيح : « وليس لحتجر حق بعد ثلاث » أى من تملك أرضا لأعمارها ولم يفعل نزعته منه بعد ثلاث سنوات فقط .

كما يقول عليه الصلاة والسلام مبينا فضل الزراعة وحاضا عليها : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرا فiaكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة » (١) .

وروى أحمد أن صحابيا قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذنى هاتين يقول : من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له فى كل شئ يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل » .

والمزارعة هى أن يكرى صاحب الأرض أرضه للفلاح ويزوده بالبذر والحيوان ويقوم الفلاح بالزراعة وله الثلث أو الربع من المحصول حسب الاتفاق .

ويجب النص فى عقد المزارعة على محل العقد والعمل والمقابل والمدة .

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يكون أجر العامل قطعة من الأرض (٢) يزرعها لحسابه لأن من المحتمل ألا تخرج هذه القطعة المخصصة شيئا أو تصيبها آفة . كما أن المزارع فى هذا العقد غير مسئول عن الخسارة ويشترط لصحة التعاقد التخلية بين الأرض والمزارع حتى لا ينشأ نزاع فى العمل .

٢ - المساقاة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« قالت الأنصار للنبى صلى الله عليه وسلم : اقسم بيننا وبين اخواننا المهاجرين النخيل ، قال : لا ، فقالوا : تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة . . ، وقالوا : سمعنا وأطعنا » (٣) .

(٢) رواه البخارى .

(١) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى .

وقد استدل فقهاء المسلمين بهذا الحديث على جواز المساقاة وهى أن يعهد الرجل بنخله أو كرمه أو رمانه أو كل ما له قرار وجذور — فى رأى البعض — لمن يقوم بسقيه وعمل سائر ما يحتاج اليه بجزء معلوم من ثمره •

وقد قيد الفقهاء هذا العقد بقيود نزع الاستغلال وأهم هذه القيود تحديد عمل العامل فقالوا : يجب عليه السقى فقط دون الجذاذ (جنى المحصول) وحفر المساقى وسد الأحواض وتنقية العين •

٣ — المضاربة :

أباح الاسلام هذا النوع من الشركات فى التجارة للتيسير على الناس وهى تشبه الاجارة لأن حصة الربح فيه للشريك العامل تقابل مجهوده فى العمل • وشروطها :

- ١ — الاشتراك فى الربح •
 - ٢ — التخليّة بين العامل ورأس المال •
 - ٣ — تحديد نصيب كل من العامل وصاحب رأس المال فى الربح •
 - ٤ — اعتبار العامل أميناً •
 - ٥ — عدم التزام العامل بشئ من الخسارة أو التلف الذى لا يد له فيه (١) •
 - ٦ — عدم كف العامل عن التصرف المعتاد الذى يتطلبه عرف التجارة والتجار •
 - ٧ — لا يصح اشتراط مبلغ محدد كربح سواء للعامل أو صاحب رأس المال لاحتمال ألا يزيد الربح عما شرط لأحدهما •
 - ٨ — نفقات الشريك بالعمل فى حالة السفر لمصلحة العمل تجب فى مال الشركة وتشمل الطعام والكسوة والركوب والمبيت يصرف بالمعروف أما فى حالة الإقامة فنفقته على حسابه الخاص •
- واذ عمل صاحب المال فى هذه الشركة تفسد المضاربة كما لا يعمل صاحب الأرض فى المزارعة •



حق الاضراب

يقول تعالى :

« لقد خلقنا الانسان في كبد • أحسب أن لن يقدر عليه أحد •
يقول أهلك ما لا لبدا • أحسب أن لم يره أحد • ألم نجعل له عينين •
ولسانا وشفقتين • وهديناه النجدين • فلا اقتحم العقبة • وما أدراك
ما العقبة • فك رقبة • أو اطعام في يوم ذى مسغبة • يتيما ذا
مقربة • أو مسكينا ذا متربة • ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالرحمة • أولئك أصحاب اليمين • والذين كفروا
بآياتنا هم أصحاب المشأمة » (١) •

« اذن فافتحام عقبة الحياة وتجنب شؤمها يكون في رأى القرآن
الواضح في هذه الآيات بأشاعة الرحمة وبتحرير رقاب الناس من أنواع
العبودية والاذلال وبتأمين لقمة العيش وأساسيات الحياة للضعفاء
والعجزة والقاصرين عن السعى لرزقهم وباتقاء الغرور بالمال والاسراف
في اهلاكه وانفاقه فلا يطفئ به متبججا مفتخرا « يقول أهلك ما لا لبدا »
ولا يتغاضى في الاسراف فيه واهلاكه عن نظرات الفقراء وحسدهم
وحسراتهم وحقدهم وعن تفتح عيونهم وتطلعها الى نعم الله التى حجزها
المسرف لنفسه بل يجب أن يتذكر دائما أن الله جعل للفقراء عيونا ترقب
في حسرة حقها في هذا المال والسنة وأدوات للنقد والحسد والقييل
والقال والسخط الذى يصيبهم به الحرمان ويصيب الحياة الاجتماعية
بالشؤم والدمار كما جعل للغنى المسرف تلك الأدوات • • لسانا
وشفتين » (٢) •

فالاسلام حريص على ايجاد المجتمع المتحاب المتراحم الذى يعيش
في اخاء وتعاون على البر والتقوى وتشيع بين أفرادہ الألفة والمحبة •
ويعبر عن ذلك الدكتور محمد البهى من بحث له بمجلة الاعتصام (٣)

(١) البلد : ٤ - ١٩

(٢) المادية الاسلامية وأبعادها لعبد المنعم خلاف •

(٣) عدد رجب ١٣٩٦

القاهرة بعنوان « المجتمع الاسلامى مجتمع الملاك والعمال معا » :
فيقول :

« ومع كون المجتمع الاسلامى مجتمع ملاك وعمال معا فانه ليس
مجتمعا طبقيا . لأن الملاك والعمال اخوة في الايمان ومتساوون في
الاعتبار البشرى . وأخوة بعضهم لبعض تحول لذلك دون قيام
نزاع بينهم فضلا عما يسمى بالصراع الطبقي . ومساواة بعضهم
لبعض في الاعتبار البشرى من شأنها أن تمنع سخرية بعضهم من بعض
واستخفاف القوى بالضعيف . وقد جاء الأمران في قول الله تعالى :
« انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون .
يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم
ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن . ولا تلمزوا أنفسكم ولا
تتأزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب
فأولئك هم الظالمون » (١) .

فإذا تحول النزاع بين طائفتين من المؤمنين — ملاك وعمال ..
حاكم ومحكومين — الى قتال بينهما ، وجب تدخل المؤمنين بالقوة لانهاء
القتال ، ثم معالجة الأمر بينهما بعد ذلك على أساس من العدل :
« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احدهما
على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تبغى الى أمر الله ، فان فاءت
فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، ان الله يحب المقسطين » (٢) .

وهكذا : هناك ثلاثة نظم في ملكية المال وانماؤه وانفاقه .. وبالتالي
هناك ثلاثة أنواع من المجتمعات :

أولا : الملكية الفردية للمال والحرية في انماؤه وانفاقه . ومجتمع
هذا النظام هو المجتمع الرأسمالى ، أو مجتمع الملاك .

ثانيا : ملكية الدولة للمال ، وممارسة الدولة السيادة على الأفراد
في تحديد العمل والأجور . ومجتمع هذا النظام هو مجتمع العمال بدون
مالكين للمال .

ثالثا : الملكية الفردية للمال ، والالتزام في انفاقه وانماؤه بحدود

الاستخلاف فيه ، وهذه الحدود تحول دون الطغيان به ، ومجتمع هذا النظام هو مجتمع الملاك والعمال معا ، أو المجتمع الاسلامى •

وهكذا : دخول الاستخلاف فى الملكية الفردية للمال أى أن الانسان مستخلف فى مال الله هو الفيصل فى تمييز المجتمع الاسلامى عن المجتمعين الآخرين • الرأسمالى • والعمالى • لأنه على أساس من الاستخلاف فى المال لا توصل الملكية الفردية الى الصراع الطبقي • وبالتالي الى التحول الى المجتمع العمالى • فالاستخلاف كتفويض من الله تعالى يضع المالك للمال أمام مجموعة من القيود أو المبادئ لا يجيد عنها • يضعه :

✽ أمام المنفعة العامة للمال الخص ، فيشارك أصحاب الحاجة معه •

✽ وأمام عدم الاستغلال لصاحب الحاجة عند التنمية ، فيمتنع عن الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وبالأخص أكل أموال الضعفاء •

✽ وأمام عدم العبث ، والتقييد فى الانفاق على الذات أو على الآخرين ممن يجب الانفاق عليهم •

وبهذه القيود أو المبادئ لا تكون الملكية الشخصية طريقا الى الطغيان بالمال ، والتدخل فى شؤون الحكم وتوجيه سياسة المجتمع • بل تبقى طريق المباشرة النشطة للمال •

وبهذه القيود أو المبادئ كذلك لا تكون الملكية الشخصية منفذا الى تكديس الثروة ، ولا الى السُح فى انفاقها ، فمانع الزكاة مرتد ، ويقاقل على رده ، وتقسيم الارث ضرورة اجتماعية واقتصادية •

وبهذه القيود أو المبادئ أيضا كما تكون للمال حرمة عدم الاعتداء عليه باتلافه أو تخريبه أو الامتناع عن العمل فى انمائه • تكون للعامل فيه حرمة الحق فى الأجر الجزى ، وفى ضروب الرعايات المختلفة • كأنسان يتساوى فى الاعتبار البشرى مع المالك سواء بسواء • •

والاسلام — كما قدمنا — يلزم الدولة المسلمة بكفالة الحد الأدنى من ضرورات الحياة من مأكل وملبس ومسكن لرعاياها جميعا فلماذا الاضراب ؟ •

ان الاضراب محرم فى المجتمعات التى تدين بالاشتراكية ويرجع

ذلك الى أن الدولة تملك جميع وسائل الانتاج من أرض ومناجم ومصانع ..
كما أن الطبقة الحاكمة مفروض أنها طبقة العمال صاحبة الأغلبية
وصاحبة المصلحة ومن غير المعقول أن يضيع العمال في ظل حكومتهم ..

وفي مصر تكفلت الدولة بتشغيل جميع الخريجين سواء من الجامعة
أو من مراحل التعليم الأخرى وهى تكفل لهم من الأجر ما يعادل
الحد الأدنى لمستوى المعيشة وتترك للخريج بعد ذلك أن يجتهد ليرفع
من مستواه ..

أما النظام الاسلامى فأساسه أن كل عمل المرء لله تعالى .. يقول
الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم حتى يحب الشئ »
لا يحبه الا لله » ..

والعمل عقد بين العامل وصاحب العمل .. عقد معاملة وقد جعل
الله نفسه طرفا في كل معاملة .. وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم :
« يد الله مع الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما » ..
ومن أمثلة الخيانة في عقد العمل :

بخس الأجر خيانة .

كما أن عدم اتقان العمل خيانة .

وقد أمرنا الله تعالى بالأمانة والوفاء وجعل عهود المسلمين وعقودهم
مقدسة :

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (١) .

« ان العهد كان مسئولا ... » (٢) .

والعمل في الاسلام عبادة — كما قدمنا — فكيف يقبل الله عبادة
المسلم في عمله اذا اتجه الى الحاق الضرر بغيره أو بالمجتمع — عن
طريق الاضراب — ولم يتجه به الى تغليب الخير العام ؟ ..

ولنذكر أن صاحب العمل ما هو الا مستخلف في مال الله الذى يقوم
فيه بواجب الوكالة عن صاحب المال الأصلي فليس العامل خادما عند
صاحب العمل بل هو خادم للأمة .

والاضراب في هذه الحالة تعطيل ، والتعطيل سيعود ضرره على العامل وصاحب العمل وأفراد الأمة المسلمين والاقتصاد القومي كله بما سيخسره من انتاجية هذا العامل وبما سيترتب على اضرابه من اضرار بمصالح المسلمين الذين ينتظرون انتاحه .

ولنضرب مثلا يوضح ما نقول .. فاذا فرضنا أن مصنعا للغزل قد أضرب عماله عن العمل وتوقف انتاجه .. فكم مصنع للنسيج سيتوقف بعده .. ؟ وكم مصنع من مصانع (التريكو) الصغيرة سيتعطل ؟ وكم متجر من المتاجر التي تقوم بتسويق منتجاته أو منتجات مصانع النسيج المعتمدة على غزله ستكسد أعمالها ؟ وكم ستخسر الدولة من عدم تصدير حصة الغزل المتعاقد على تصديرها ؟ علاوة على ما ستحمله من غرامات بالعملات الحرة نتيجة لعدم الوفاء بهذه التعاقدات .. ؟

تأمل يا أخى هذه السلسلة من الأضرار التي تتحقق نتيجة لاضراب العامل بينما قاعدة الاسلام الأولى في كل شيء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار .. » .

لا شك في أن السؤال الذي سيتبادر الى الذهن الآن هو : وما الحل . اذن اذا أحس العمال بالظلم .. ؟ .

والتشريع الاسلامي الرحيم يعرض علينا الحل فيما ترويه السير من أن رجلا ذهب يشكو عماله الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . لأنهم سرقوا بعض ماله فقام أمير المؤمنين بالبحث والتحقيق في شكوى الرجل فتيبين له أن الرجل لا يعطى عماله كفايتهم وما يسد ضروراتهم فصاح بالرجل : « أيها اللص اذا عاد هؤلاء للسرقة قطعت يدك أنت » ..

هذا تشريع من الخليفة اراشد الذي أعطى حق التشريع .. لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اتبعوا سنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » ..

فاذا وجد التذمر بين العمال كان على ولى الأمر أن يبحث في عدالة مطالبهم فان كانوا يطلبون حقا أعطوه وكان اثم التقصير على من منعهم الحق وان كان تذمرهم بغير حق فانهم الآثمون وحدهم وعليهم العقاب ..

وعمر لما دون الدواوين لم يسجل الناس ليفرض عليهم الضرائب
بله ليرتب مرتبا لكل مولود في الاسلام .. لأن الاسلام كما قدمنا كلف
الدولة بأن توفر الحد الأدنى لرعاياها من ضرورات الحياة أى المأكل
والملبس والسكن .

يقول الله تعالى لآدم عندما أهبطه الى الأرض « ان لك ألا تجوع
فيها ولا تعرى » (١) .. هذا وعد الله الذى ألزم به خليفته فى الأرض ..
فاذا كفلت الدولة ذلك فلماذا الاضراب ؟ ..

ان الاسلام يدعو الى مجتمع الاخاء والتكافل ودعوة الاسلام ملحة
لاقامة هذا المجتمع والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الخلق كلهم
عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله » .

انها دعوة ليرتفع المسلمون — عمال وأصحاب أعمال — الى مستوى
اسلامهم وينزلوا الاسلام من قلوبهم محل الذهب والدينار فلا يبيعوا
الآخرة بالدنيا .

* * *